



الإضراب في القرآن الكريم بين البلاغة ولسانيات النص *The recession in the Holy Quran between rhetoric and textlinguistics*

عبد العزيز تواتي *

جامعة المسيلة (الجزائر)

touatiabdelaziz04@gmail.com

تاريخ النشر: 2025.11.15

تاريخ القبول: 2025.10.10

تاريخ الاستلام: 2025.05.17

ملخص:

الإضراب أسلوب لغوي بلاغي ميز لغتنا العربية، واستعمله القرآن الكريم بكثرة في سياقات شتى، ويُعدّ واحداً من آليات الربط بين الجمل ومكونات النص، تأتي هذه الدراسة بعنوان: الإضراب في القرآن الكريم بين البلاغة ولسانيات النص، وتطرح مقارنة لموضوع الإضراب بين علمي: البلاغة ولسانيات النص، ومن ثم تقف عند هذا الأسلوب الفني بين جماليته البلاغية ودوره في اتساق النصوص وعلاقته باللسانيات النصية، والمتوقع من الدراسة هو الكشف عن علاقة بالغة الأهمية لهذا الأسلوب بالبلاغة من جهة واللسانيات النصية من جهة أخرى، من خلال أمثلة قرآنية متعددة.

الكلمات المفتاحية: الإضراب؛ أسلوب؛ بلاغة؛ لسانيات النص؛ القرآن الكريم.

Abstract:

The recession is a linguistic style of a rhetorical style that distinguished our Arabic language, and the Holy Qur'an used it a lot in various contexts, and it is considered one of the mechanisms of linking the sentences and the components of the text, this study comes entitled: The recession in the Holy Qur'an between rhetoric and the textlinguistics, and an approach to the topic of the recession between two sciences: rhetoric and the textlinguistics, and then stands at this artistic method between its rhetorical aesthetic and its role in the consistency of the text And his relationship with textlinguistics, and the expected study is to reveal a very important relationship of this method of eloquence on the one hand and text tongues on the other hand, through multiple Quranic examples.

Keywords: recession; style; rhetoric; text linguistics; the Holy Quran.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

عرفت العرب في كلامها أساليب لغوية شتى، ميّزت لغتهم بالفصاحة، وأضفت عليها مسحة من البلاغة، ومن هذه الأساليب أسلوب الإضراب الذي يعني الامتناع، إذ هو يصوّر صورا كثيرة في القرآن، وتتعدد هذه الصور باختلاف المعنى.

وتكمن أهميّة الإضراب في أنه يترك أثرا وانطبعا في نفس السامع، كما أنه يربط بأدواته بين جمل النصّ، وبذلك أمكننا طرح التساؤل التالي: ما موقع أسلوب الإضراب بين البلاغة ولسانيات النص؟ وللإجابة عن هذا التساؤل حاولنا في هذا البحث إظهار صورة من صور الجمال البلاغيّ في القرآن من جهة، ومن جهة أخرى إثبات الدور الذي يؤديه الإضراب في اتساق النص القرآنيّ، فالقرآن يشتمل على درر وجواهر بلاغية ونصيّة، اجتهد العلماء والباحثون على اختلاف توجهاتهم في إبرازها ودراستها، من مفسّرين وبلاغيين ونحويين وغيرهم.

واتبعنا في ذلك منهجا مزج بين الوصف والمقارنة، لمناسبته للموضوع، أما خطة البحث فتتمثل في التعريف أولا بالإضراب في اصطلاح البلاغيين، وبيان أقسامه وأنواعه، وذكر أهميّته في كلام العرب، واشتمال القرآن على أساليبه، باعتبار القرآن قد نزل بلغة العرب، فلا ينفكّ عن الأخذ بكل مظاهر الجمال في لغتهم، ثم يأتي ذكر علاقة الإضراب بالدراسات النصيّة، من خلال أدواته التي تعتبر رابطة بين فقرات النص وأجزائه، وأخيرا يأتي ضرب الأمثلة والشواهد القرآنية ورصد آراء البلاغيين وعلماء التفسير في كل مثال؛ لنخلص في الأخير إلى نتائج تركّز على تموضع أسلوب الإضراب بين البلاغة ولسانيات النصّ وتحديد الحيّز الذي يشغله هذا الأسلوب بين هذين العلمين من العلوم الإنسانية.

2. الإضراب في اللغة والاصطلاح

1.2. لغة:

جاء في الصحاح: «وأضرب عنه، أي أعرض»⁽¹⁾، وقال ابن منظور: «وأضربت عن الشيء: كفت وأعرضت... ويقال: ضربت فلانا عن فلان أي كففته عنه، فأضرب عنه إضرابا إذا كفّ. وأضرب فلان عن الأمر فهو مُضْرِبٌ إذا كفّ»⁽²⁾، فيؤخذ من هذين التعريفين معنى الإعراض والكفّ.

2.2. اصطلاحا:

عرّفه الشريف الجرجاني (ت816هـ) بقوله: «هو الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه نحو: "ضربت زيدا بل عمرا»⁽³⁾، فقد وقع الإخبار عن ضرب زيد ثم ظهر غلط ذلك فجاء استدراك الغلط بذكر المضروب حقا وهو عمر، فهنا إضراب عن زيد إلى عمر.

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في العربية، مادة (ضرب)، ج 01، ص 168.

(2) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضرب)، مج 1، ص 547.

(3) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص 27.

والإضراب هو «الرجوع عن الحكم، أو الصفة على وجه الإبطال أو الاستدراك، وحرفه "بل"، وهو من معاني "أو" و"أم" و"على"»⁽¹⁾.

ولعل من أحسن ما عُرِف به الإضراب ما جاء في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب حيث يقول: «ومعنى الإضراب: جَعَلَ الحكم الأول، موجبا كان أو غير موجب: كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه، ففي قولك: ما جاءني زيد، بل عمرو، أفادت "بل" أن الحكم على زيد بعدم المجيء كالمسكوت عنه، يحتمل أن يصح هذا الحكم فيكون زيد غير جاء، ويحتمل ألا يصح فيكون قد جاءك، كما كان الحكم على زيد بالمجيء في: جاءني زيد بل عمرو، احتمل أن يكون صحيحا وألا يكون»⁽²⁾، وهناك من يرى أن «معنى الإضراب عن المتبوع أن يجعل في حكم المسكوت عنه لا أن ينفي عنه الحكم قطعاً خلافا لبعضهم»⁽³⁾. وأشهر حروف الإضراب: بل، وهي إن وقع بعدها جملة فالإضراب على ذلك نوعان⁽⁴⁾:

1- إبطالي: أي يبطل الحكم الذي يسبق حرف الإضراب، ويثبت ما بعده، ومن شواهد في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء 26]، يقول الإمام المفسر أبو السعود (ت 951هـ): «وقوله تعالى (بل عباد) إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى»⁽⁵⁾، ومن الشواهد على الإضراب الإبطالي قوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْهُمْ لِحَقِّ كَارِهِونَ﴾ [المؤمنون 70].

2- انتقالي: سمي بذلك لإفادته الانتقال من حكم إلى حكم جديد، دون إبطال الحكم السابق، وأمثله كثيرة في القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى 14 16]، جاء في تفسير الألوسي (ت 1270هـ) ما نصه: «وقوله تعالى (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون الخ ولعله مراد من قال إنه إضراب عن قد أفلح الخ وقيل إضراب عن بيان حال المتذكر والمتجنب إلى بيان أنه لا ينفع هذا البيان وأضعافه المتمردين على وجه يتضمن بيان سبب عدم النفع وهو إثارة الحياة الدنيا»⁽⁶⁾، وأيا كان ما أضرب عنه فهو انتقال من غرض إلى غرض دون أن يبطل الأول بالثاني، كما يقول العلامة محمد الطاهر ابن عاشور بشأن هذه الآية: «و(بل) هنا عاطفة عطفًا

(1) إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج 1، ص 163.

(2) محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ص 1352، 1353.

(3) سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، ج 01، ص 62.

(4) يُنظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 01، ص 119.

(5) محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 06، ص 63.

(6) محمود شكري الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 110.

صوريا فيجوز أن تكون لمجرد الانتقال من ذكر المنتفعين بالذكرى والمتجنين لها، إلى ذكر سبب إعراض المتجنين وهم الأشقون بأن السبب إيثارهم الحياة الدنيا⁽¹⁾.

ومن الأمثلة القرآنية على الإضراب الانتقالي أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ [المؤمنون 62 63].

وأما إن وقع بعدها مفرد فالأداة عاطفة، أي تعطف مفردا على مفرد، وهنا تفصيل⁽²⁾:

فإن كان ما قبل الأداة (بل) أمرا أو إيجابا، كقولنا: (اضرب زيدا بل عمرا) أو (قام زيد بل عمرو)، فإن ما قبلها يأخذ حكم المسكوت عنه، فلا يُحكم عليه بشيء، وأما بعده فيثبت له الحكم.

وإن كان ما قبل الأداة نفيا أو نهيا، كقولنا: (ما قام زيد بل عمرو) أو (لا يقيم زيد بل عمرو) فإن الأداة حينئذ لتقرير ما قبلها على حالته، وجعل ضده لما بعدها.

في حين يوجز صاحب تفسير "التحرير والتنوير" وظيفة الحرف (بل) بقوله: «وحرف (بل) معناه الجامع هو الإضراب، أي انصراف القول أو الحكم إلى ما يأتي بعد (بل)؛ فهو إذا عطف المفردات كان الإضراب إبطالا للمعطوف عليه: لغلط في ذكر المعطوف أو للاحتراز عنه فذلك انصراف عن الحكم. وإذا عطف الجمل فعطفه عطف كلام على كلام وهو عطف لفظي مجرد عن التشريك في الحكم ويقع على وجهين، فتارة يقصد إبطال معنى الكلام نحو قوله تعالى "أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق" فهو انصراف في الحكم، وتارة يقصد مجرد التنقل من خبر إلى آخر مع عدم إبطال الأول نحو قوله تعالى "ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا". فتكون (بل) بمنزلة قولهم "دع هذا" فهذا انصراف قولي. ويعرف أحد الإضرابين بالقرائن والسياق»⁽³⁾.

ومن الحروف التي تفيد الإضراب: أم، والأغلب أن تدل على الإضراب مع الاستفهام، وقد تدل على الإضراب وحده دون استفهام⁽⁴⁾، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد 16]، والمعنى: بل أجعلوا لله شركاء⁽⁵⁾.

ومن الحروف أيضا: "أو"، إذ يرى الكوفيون أن من الاستعمالات الجائزة والسائغة فيها أن تجيء للإضراب بمعنى (بل) مطلقا، دون قيد أو شرط، ووافقهم على ذلك كثير من النحاة، واحتجوا على هذا

(1) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 289.

(2) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 01، ص 120.

(3) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 289.

(4) يُنظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 205.

(5) يُنظر: تفسير أبي السعود، ج 05، ص 13.

بعدد من الشواهد اللغوية الواردة في القرآن الكريم وكلام العرب، منها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفافات 147]، قال الفراء: بل يزيدون، ومنها قول جرير:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدتهم إلا بعدد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

وقد نُسب إلى سيبويه إمام أهل البصرة أنه أجاز هذا المسلك في (أو) ولكن قيده بشرط وهو أن تقع بعد نفي أو نهي، وأن يتكرر العامل معها، نحو: ما قام زيد أو ما قام عمرو، على معنى: بل ما قام عمرو⁽¹⁾.

3. الإضراب بين البلاغة وتماسك النص القرآني

بواسطة علاقة الإضراب سواء كان إبطالياً أو انتقالياً يحقق النصّ القرآني أفقا يتحرك فيه المعنى بانسيابية واضحة، وهذا ما يكشف لنا عمق الدلالة القرآنية على إعطاء المعنى الذي يقيد النص وهو صورة من صور الإعجاز القرآني، كما تتضح من خلال هذا الأسلوب صورة أخرى من صور الإعجاز، وهي شدة التماسك بين أجزاء النص القرآني، وارتباط بعضه ببعض، عن طريق أدوات الإضراب العاطفة: بل، وأم، وغيرهما، وأدوات الإضراب هذه هي من ضمن أدوات الاتساق العامة التي تسهم في تشكيل علاقات النص، وتحقيق له نصّيته، كما أن النصّية هي الخاصة الأساسية التي تميز النص ويمكن بها إطلاق اسم النص عليه، إذ يعتمد النص على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تحقق النصية وتضمن وحدته الشاملة⁽²⁾.

إن دراسة الإضراب يمكن أن تتم من منظور لسانيّ بحث، باعتباره علاقة من العلاقات الكثيرة التي تجعل من النص نصا، وفق ما حدده الباحثون من مفاهيم في لسانيات النص الحديثة، ومنهم الباحثان: هاليداي ورقية حسن، اللذين « ذهبوا إلى أن كل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات »⁽³⁾.

وتكمن علاقة الإضراب بين الجمل في أن فهم عنصر منها يتطلب بوضوح فهم عنصر آخر، وهكذا يحدث الاتساق حين يتوقف تأويل عنصر من النص على تأويل عنصر آخر منه، ولا يمكن فهم الأول إلا بفهم الثاني، إذ أن هذا الفهم يتحقق بفضل عوامل يعتمد عليها الترابط بين جمل النص، وهي عوامل تمثل مؤشرات لغوية، من قبيل العطف والوصل والفصل وأسماء الإشارة وغيرها⁽⁴⁾.

وفيما يلي نماذج قرآنية مختارة، نلتبس بها الكشف عن بلاغة هذا الأسلوب العربيّ ومساهمته في الاتساق النصّي:

(1) يُنظر: مغني اللبيب، ج 01، ص 67.

(2) يُنظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1991م، ص 13.

(3) عزمي محمد عيال سلمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب، النشأة والتطور، كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2020م، ص 91.

(4) يُنظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1997م، ص 123.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة 88]، يقول أبو حيان الأندلسي (ت745هـ): «بل للإضراب وليس إضرابا عن اللفظ المقول لأنه واقع لا محالة فلا يضرب عنه، وإنما الإضراب عن النسبة التي تضمنها قولهم إن قلوبنا غلف لأنها خلقت متمكنة من قبول الحق مفطورة لإدراك الصواب، فأخبروا عنها بما لم تخلق عليه، ثم أخبر تعالى أنهم لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم، وجازاهم بالطرد الذي هو اللعن المتسبب عن الذنب الذي هو الكفر»⁽¹⁾، ومعناه أن الإضراب الواقع لم يكن عن قول اليهود: قلوبنا غلف، فهذه حقيقة فيهم، ولكنه عن نسبتهم ذلك لهم، فهم إنما صنعوا ذلك بأيديهم، وكفروا باختيار منهم، وإلا فالقلوب مفطورة على إدراك الصواب والإيمان بالحق. والمتأمل لهذا المعنى يدرك الدقة في طرحه، ويلمس بذوقه حقيقة التعبير عنه بأحسن تعبير، فجاء أسلوب الإضراب مجسداً ذلك المعنى في أبلغ ما يكون الكلام.

وأما من ناحية التماسك في الآية فإن أسلوب الإضراب ربط بين إخبارين: (وقالوا قلوبنا غلف) و(لعنهم الله بكفرهم)، بواسطة أداة العطف: (بل)، فحصل الاتساق في الآية بهذا الربط بين جزءيها، وهذه الرابطة هي نوع من الاستبدال الذي يتم بواسطة استبدال عنصر في النص بعنصر آخر، على أساس من التقابل والاختلاف⁽²⁾.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة 154]، فهذه الآية نزلت في معركة بدر الكبرى، وهي أول معركة في الإسلام، فنزلت للتخفيف عن المسلمين إثر حزنهم على من استشهد منهم في المعركة، فكأنه يقول لا تقولوا قُتل فلان وقُتل فلان، ولكنهم انتقلوا من الدنيا الفانية إلى العيش في حياة أبدية، و«بل للإضراب الإبطالي إبطالا لمضمون النهي عن قوله، والتقدير بل هم أحياء، وليس المعنى بل قولوا هم أحياء لأن المراد إخبار المخاطبين هذا الخبر العظيم، فقوله "أحياء" هو خبر مبتدأ محذوف وهو كلام مستأنف بعد بل الإضرابية»⁽³⁾.

وهذه الأداة (بل) في الآية ربطت بين إنشاء يتمثل في النهي: (ولا تقولوا) وبين إخبار يتمثل في جملة اسمية مبتدأها محذوف: هم أحياء.

ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام 40-41]، ورد الإضراب في هاتين الآيتين للانتقال من مقول القول لله سبحانه إلى تقرير حقيقة أخرى هي أن المخاطبين لا يدعون غير الله تعالى ليكشف كربهم وبلاءهم، والمعنى المنتقل منه لا شك في أنه لا يعتريه إبطال؛ لأنه من قول الله عز وجل، ولا يخالف المعنى المنتقل إليه، فهو إضراب انتقالي.

(1) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج01، ص470.

(2) يُنظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص21.

(3) التحرير والتنوير، ج02، ص53.

يقول أبو حيان الأندلسي: «و(بل) هنا للإضراب والانتقال من شيء إلى شيء من غير إبطال لما تضمنه الكلام السابق من معنى النفي. لأن معنى الجملة السابقة النفي وتقديرها: "ما تدعون أصنامكم لكشف العذاب". وهذا كلام حق لا يمكن فيه الإضراب، يعني الإبطال»⁽¹⁾.

ومن الملاحظ من حيث الشكل أن أداة الربط (بل) قد أحكمت علاقة الآية الأولى بالثانية إحكاما وثيقا، وجعلتهما متماسكتين تماسكا شديدا، فلم تؤدّ (بل) وظيفة الإضراب فحسب، ولكنها أسهمت في بناء النص واتساقه وتماسكه، من خلال عطف بعض الكلام على بعضه الآخر، والزيادة في فهم النص، حيث «تسهم كل جملة في فهم ما قبلها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة، بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب، بل من خلال معاني الأجزاء وتأزرها في بنية كلية كبرى»⁽²⁾، يقول المفسر أبو السعود: «وقوله تعالى (بل إياه تدعون) عطف على جملة منفية ينبي عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار إنباءً جليا كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل إياه تدعون»⁽³⁾، ثم تزيد الفاء العاطفة في (فيكشف ما تدعون) من شدة تماسك النص القرآني وترابطه.

ويقول تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود 27]، ففي هذا الخطاب يخاطب نوحا قومه بعد تكذيبه بأن نوحا بشر مثلهم فكيف يؤتبه الله النبوة من بينهم، ثم يوغلون في بيان حججهم بأن أتباعه ليسوا إلا أراذل القوم وضعفاؤهم، فليس لهؤلاء الأتباع فضل دونهم، ولا شرف عليهم، ثم أضربوا عن كل ذلك إضرابا انتقاليا إلى معنى آخر أشدّ، وهو التكذيب صراحة برسالة نوح ÷. كما نلاحظ الربط الذي تحقّقه (بل) بين أجزاء الآية وجزئها الأخير، جريا على ما تقتضيه هذه الأداة من العطف وتوثيق الصلة بين مفاصل الكلام، إضافةً إلى علاقة استبدالية اقتضت تعويض عنصر بآخر، وفق ما يتطلبه اتساق النص.

ويقول تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ، قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ، أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ، أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَرُونَ، أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ، أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ، أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ، أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ، أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ

(1) البحر المحيط، ج 02، ص 132.

(2) لسانيات النص وتحليل الخطاب، النشأة والتطور، ص 96.

(3) تفسير أبي السعود، ج 03، ص 132.

- عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الطور من 29 إلى 43]، فهذا نص قرآني كامل، يشتمل على سلسلة من الإضرابات، أغلبها بواسطة حرف الاستفهام (أم)، مع ورود الحرف (بل) مرتين في النصّ.
- ومجموع هذه الإضرابات سبعة عشر إضرابا، على النحو التالي:
- 1- (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ)، و(أم) هنا للإضراب الانتقالي من قولهم (فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) إلى مقالة أخرى هي قولهم: (شاعر نربص به ريب المنون)، وحيء بهذه الأداة بدلا عن (بل) التي هي أشهر منها لتضمّنها للاستفهام الإنكاري⁽¹⁾، والمعنى: بل يقولون⁽²⁾.
 - 2- (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا)، وهذا «إضراب انتقال دعا إليه ما في الاستفهام الإنكاري المقدّر بعد (أم) من معنى التعجيب من حالهم كيف يقولون مثل ذلك القول السابق ويستقر ذلك في إدراكهم وهم يدّعون أنهم أهل عقول لا تلبس عليهم أحوال الناس فهم لا يجهلون أن محمدا ﷺ ليس بحال الكهان ولا المجانين ولا الشعراء»⁽³⁾.
 - 3- (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)، وهو «إضراب انتقالي أيضا متصل بالذي قبله انتقل به إلى استفهام عن اتصافهم بالطغيان»⁽⁴⁾.
 - 4- (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ)، وهو إضراب انتقالي متصل بما قبله، يسرد حكاية إنكارهم واختلاقهم للأكاذيب، مفندا بالاستفهام كل ما زعموه في شخص النبي ﷺ.
 - 5- (بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ)، فحيء هنا بصريح حرف الإضراب، وهو (بل)⁽⁵⁾، وذلك للتعجيل بتكذيبهم في كل ما قالوه بصورة عامة، ولتنفّرع عن هذا الصورة الاستدلالات على كذبهم وعنادهم⁽⁶⁾.
 - 6- (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ)، وهو «إضراب انتقالي إلى إبطال ضرب آخر من شبهتهم في إنكار البعث»⁽⁷⁾.
 - 7- (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)، وهو إضراب انتقالي آخر، يتضمن استفهاما إنكاريا، والمعنى أهم الخالقون لأنفسهم⁽⁸⁾؟ بحسب قرينة الإضراب السابق، أو هو لقصد العموم بقرينة حذف مفعول (خالقون).
 - 8- (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، هذا إضراب للانتقال من التعميم السابق إلى تخصيص خلق السماوات والأرض، أو للانتقال من الإجمال إلى التفصيل⁽⁹⁾.

(1) يُنظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 60.

(2) يُنظر: روح المعاني، ج 27، ص 36.

(3) التحرير والتنوير، ج 27، ص 63.

(4) المرجع نفسه، ج 27، ص 64.

(5) يُنظر: روح المعاني، ج 27، ص 42.

(6) يُنظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 65.

(7) المرجع نفسه، ج 27، ص 67.

(8) يُنظر: روح المعاني، ج 27، ص 37.

(9) يُنظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 69.

9- (بَلْ لَا يُوقِنُونَ)، وهو إضراب إبطلائي، يفيد إبطال مضمون ما سبق من ذكر الخلق، أي هم لم يخلقوا من غير شيء، ولا هم خلقوا السماوات والأرض؛ فهم لذلك لا يوقنون بالبعث، فينكرونه بدون حجة أو شبهة⁽¹⁾.

10- (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَتِكَ)، إضراب انتقالي من أجل «إبطال أن يكون لهم تصرف في شؤون الربوبية فيجعلوا الأمور على مشيئتهم كالمالك في ملكه والمدبر فيما وكل عليه، فلاستفهام إنكاري بتنزيلهم في إبطال النبوة عمن لا يرضونه منزلة من عندهم خزائن الله يخلعون الخلع منها على من يشاءون ويمنعون من يشاءون»⁽²⁾.

11- (أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ)، إضراب انتقالي يقضي بإنكار أن يكون لهم شيء من التصرف في ملك الله تعالى.

12- (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ)، إضراب لإبطال قولهم: (تقولوه) أنف الذكر، وقولهم: (نترى به ريب المنون)⁽³⁾، وهنا نلمس الترابط الوثيق بين جمل النص ولو تباعدت.

13- (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ)، إضراب لإبطال نسبهم لله بنات، وإبطال أوهامهم في العالم الغيبي، والاستفهام إنكاراً لأن يكون لله بنات سبحانه عز وجل.

14- (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا)، إضراب «مرتبط بقوله "أم يقولون تقوله" وقوله: "أم عندهم خزائن رحمة ربك" إذ كل ذلك إبطال للأسباب التي تحملهم على زعم انتفاء النبوة عن محمد ﷺ»⁽⁴⁾، ونلمح هنا تعالق هذه الآية بآيات قبلها، مما يدل على تماسك النص كوحدة كاملة متكاملة.

15- (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ)، وهو «على معنى بل أعندهم اللوح فيعلمون كل ما هو كائن ويكتبون فيه تلك المعلومات وقد علموا أن ما تدّعيه من المعاد ليس من الكائن المكتوب»⁽⁵⁾.

16- (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا)، وهو إضراب انتقالي «من نقض أقوالهم وإبطال مزاعمهم إلى إبطال نواياهم وعزائمهم من التبييت للرسول ﷺ وللمؤمنين ولدعوة الإسلام من الإضرار والإخفاق»⁽⁶⁾، وقال الألوسي: «ثم ختم الكلام بالإضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم بانهم يريدون بك كيدا فهم ينصبون لك الحبائل قولاً وفعلاً لا يقفون على هذه المقالة وحدها وهم المكيدون لا أنت قولاً وفعلاً وحجة وسيفا»⁽⁷⁾.

(1) يُنظر: المرجع السابق، ج 27، ص 69.

(2) المرجع نفسه، ج 27، ص 70.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ج 27، ص 72.

(4) المرجع السابق، ج 27، ص 75.

(5) روح المعاني، ج 27، ص 42.

(6) التحرير والتنوير، ج 27، ص 77.

(7) روح المعاني، ج 27، ص 43.

17- (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ)، وهذا آخر إضراب يشكل أمرا حاسما لهم، بإبطال ما هو أعظم من كفرهم وضلالهم وافتراءاتهم، بإبطال شركهم بالله الواحد جل شأنه. وبهذا الشكل تنتهي هذه السلسلة من الإنكارات على الكفار المخاطبين بواسطة أسلوب الإضراب الذي اختير له الحرف (أَمْ) الدال على الاستفهام أيضا، ليكون ذلك أبلغ في الإنكار والتشنيع عليهم، مع ملاحظة تعالق الآيات بعضها ببعض، بواسطة علاقات استبدالية متتابعة، لتشكل في النهاية نسيجاً نصياً متلاحماً، أسهم الإضراب بشكل كبير في تلاحمه وتماسكه وترابطه.

4. خاتمة

في ختام البحث عن أسلوب الإضراب بين البلاغة ولسانيات النص، من خلال نصوص القرآن الكريم، هذا الأسلوب المميز الذي أخذ موقعا مهما بين علم البلاغة القديم والعلم الحديث الذي يبحث في تماسك النصوص، يمكننا الخلوص إلى جملة من النتائج:

- أسلوب الإضراب بنوعيه الإبطالي والانتقالي هو من الأساليب البلاغية التي يُتمكّن بها من إيصال المقاصد من الكلام بدقة ممزوجة بمتعة أدبية فنيّة.
- تتعدّد الأغراض المصاحبة للإضراب البلاغي، من إبطال لمعنى أو انتقال من معنى لآخر، أو استحضار لأساليب أخرى كالإنكار أو التهكم أو التوبيخ أو التقريع وغيرها..
- أداة الإضراب الصريحة هي (بل)، وقد تحل محلها أدوات أخرى مثل: أم، أو...مع ما تضيفه الأدوات الأخرى من معانٍ، ك(أَمْ) التي قد تفيد مع الإضراب كونها استفهامية أيضا.
- أدوات الإضراب هي في الغالب أدوات عطف، مما يتيح تماسك النصوص التي تشتمل على أسلوب الإضراب، وقد رأينا في الأمثلة المقدمة كيف أن الإضراب قد ساهم فعلا في ترابط أجزاء النص القرآني.

5. قائمة المراجع

- الإسترايازي، محمد بن الحسن الرضي، 1996م، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- الألوسي، محمود شكري، (دت)، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، 1987م، المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت، دار العلم للملايين.
- التفزازاني، سعد الدين، (دت)، مختصر المعاني، القاهرة، دار الفكر.
- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (دت)، معجم التعريفات، القاهرة، دار الفضيلة.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، 1979م، تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، 1993م، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (دت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984م، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- عزمي محمد عيال سلمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب، النشأة والتطور، كنوز المعرفة، عمان.
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- المرادي، الحسن بن قاسم، 1992م، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت، دار المكتبة العلمية.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (دت)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف، 1964م، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دمشق، دار الفكر.

7. Bibliography List

- Abu al-Saud, Muhammad ibn Muhammad al-Amadi, (d.), Guidance of the Sound Mind to the Merits of the Holy Qur'an, Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
- Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf al-Andalusi, 1993, Tafsir al-Bahr al-Muhit, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Al-Alusi, Mahmoud Shukri, (d.), Ruh al-Ma'ani, Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
- Al-Istrabadi, Muhammad ibn al-Hasan al-Radi, 1996, Al-Radi's Commentary on Ibn al-Hajib's Kafiya, Riyadh, Imam Muhammad ibn Saud University.
- Al-Jawhari, Ismail ibn Hammad, 1979, Taj al-Lughah wa-Sahih al-Arabiyyah, Beirut, Dar al-'Ilm lil-Malayan.
- Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad al-Sayyid al-Sharif, (d.), Mu'jam al-Ta'rifat, Cairo, Dar al-Fadhila.
- Al-Muradi, al-Hasan ibn Qasim, 1992, Al-Jana al-Dani fi Huruf al-Ma'ani, Beirut, Dar al-Maktaba al-Ilmiyyah.
- Al-Taftazani, Sa'd al-Din, (d.), Mukhtasar al-Ma'ani, Cairo, Dar al-Fikr.
- Azmi Mohammed Ayal Salman, Text Linguistics and Discourse Analysis: Origins and Development, Treasures of Knowledge, Amman.
- Emile Badi' Ya'qub, Michel Assi, 1987, Al-Mu'jam al-Mufasssal fi al-Lughah wa al-Adab, Beirut, Dar al-'Ilm lil-Malayan.
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir, 1984, Al-Tahrir wa al-Tanwir, Tunis, Tunisian House of Publishing.
- Ibn Hisham al-Ansari, Jamal al-Din Abdullah ibn Yusuf, 1964, Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib, Damascus, Dar al-Fikr.

- Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad ibn Makram, (d.), Lisan al-Arab, Beirut, Dar Sadir.
- Muhammad Khattabi, Text Linguistics: An Introduction to Discourse Coherence, Arab Cultural Center, Beirut.
- Saeed Hassan Bahri, Text Linguistics, Concepts and Trends, Lebanon Library Publishers